جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية ـشعبة الفلسفة

ماستير2، تخصص فلسفة غربية حديثة ومعاصرة/ سداسي أول

مقياس الفلسفة القارية

محاضرة رقم08

الفلسفة القارية: مسألة العدمية في الفلسفة

كان من نتائج انتشار أفكار صراع الإيمان والإلحاد عزل الفيلسوف فيشته من منصبه الجامعي بتهمة الالحاد سنة 1799، وهي الواقعة التي أظهر فيها جاكوبي تضامنه المطلق مع فيشته في رسالة أرسلها له في السنة نفسها التي عزل فيها، وفيها تم توظيف مفهوم العدمية لأول مرة في الفلسفة والتي فيها اعتبر مثالية فيشته عدمية حينما ركزت على استبعاد إمكانية معرفة الذوات والأشياء ذاتها.

انطلق جاكوبي في فرضيته حول عدمية فيشته من واقع إحياء فيشته للمثالية المتعالية الكانطية التي جعلت من –أنا-كيانا فارغا لا يوجد لديها معرفة بنومينات الأشياء، وهي عدمية لا تسمح بوجود شيء خارج أو منفصل عن الأنا، والأنا في حد ذاتها ليست سوى نتاج قوة متخيلة حرة.

وهذا الشأن وبناء على أحادية مثالية فيشته دعا جاكوبي إلى الثنائية الفلسفية، مرر جاكوبي نقده المبطن لفيشته، حيث أن العدمية هي التهمة التي وجهتها نظرة العالم المسيحي للعقلانية العلمانية، وفي هذا قال جاكوبي أن الإنسان أمامه خيار واحد، إما العدمية أو وجود الله، فإذا اختار الإنسان العدمية فإنه يجعل من نفسه إلها، أي أنه يجعل من الوهم إلها لأنه في حالة عدم وجود إله يستحيل أن يكون الإنسان وكل ما يحيط به إلا وهما.

يرى جاكوبي أن إنكار موجود إله هو مخاطرة، حيث أننا نخاطر بتحويل الإنسان إلى إله وهذا يعني إثراء زائدة حول كينونة الإنسان، ويصير إنسان صورة لبرومثيوس، تحول الإنسان إلى إله ويخلق العدم.

والملاحظة أن ما اعتقده جاكوبي أنه عدمية احتفى به ماكس شيترنر على أنه قمة التحرر الفردي وهذا ما أوعز له أن يقول أنا لست عدما بمعنى الفراغ، ولكني أنا العدم المبدع الذي أخلق منه كل شيء. خاصة ما تعلق الأمر بالحرية وهذا السبب في وسم سارتر كتابه الرئيس: بالوجود والعدم، الذي ختمه بعبارة : الإنسان عاطفة لا جدوى منها.

الفلسفة والثقافة:

يعد مصطلح الفلسفة القارية من نحت الفكر الأنجلو-سكسوني ليميز نفسه عن الفلسفة الأوربية القارية، وفي هذا الشأن اعترض برنارد ويليامز التمييز بين الفلسفة القارية والفلسفة التحليلية، كون أن التمييز يقوم على الخلط بين الجوانب الجغرافية والجوانب العلمية والمنهجية، حيث أن الفلسفة التحليلية تتميز بالوضوح والواقعية والصرامة المنهجية والمحاججة وقوة البرهنة، أما الفلسفة القارية تتميز بتوجهها المتافيزيقي الشامل وبالتأمل والتأويل الثقافي.

يعد مصطلح القارية مصطلح جغرافي في الأساس والذي يشير إلى مكان معين وهو أوربا القارية، وبهدف التمييز بين القاري وغير قاري نسرد النقاط التالية:

يشر مصطلح القاري إلى وصف ذاتي أكاديمي، والذي اعتبر طرقة ينظم بها الفلاسفة أبحاثهم ودراساتهم التي تعكس انتماءاتهم الفكرية للقارة الأوربية. حيث أن مصطلح القارية يضفي الطابع الأكاديمي للفلسفة، والذي ظهر كتخصص في سبعينيات القرن الماضي.

ألقيت أول محاضرة حول الفلسفة القارية في جامعة أسكس وجامعة وريك بالولايات المتحدة، ثم في بريطانيا وحل مصطلح الفلسفة القارية محل الفينومينولوجيا والوجودية.

كانت الفلسفة القارية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية مقترنة بالفينومينولوجيا، وبقت الفلسفة القارية حاملة للاختلافات بين المذاهب والمرجعيات الفلسفية وللانقسام الثقافي الكبير في أوربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وخلالها انتشر الصراع بين الفلاسفة.

تعود علاقة الفلسفة البريطانية بأوربا القارية إلى القرن 18، حيث انتشار الفلسفات باللغات المحلية، خلالها نشر مونتين مقالاته باللغة الفرنسية سنة 1580، وكتب فرنسيس بيكون متابه"تقدم المعرفة" باللغة انجليزية وكان سنة 1605، وكتب جون ستوارت مل مقالاته بين 1832و1840متحدثا فيها عن الفلسفة القارية وعن المذهب الأماني الكولريدجي وعن الفلسفة الفرنسية، وفيها اعتبر مل الفيلسوف بنتام كامتداد عملي للفكر الشكي لهيوم، وما استحق بنتام الثناء عليه هو أنه استخدم مواهبه النقدية في قالب اجتماعي بهدف تحسين الصالح العام.

سعى بنتام إلى إعادة بناء تأويلية المعنى وإعادة فهم المذاهب والتقاليد الفكرية بمصطلحات جديدة وهو الذي قال: إذا أردنا فهم ممارسة أو حدث معين أو بالطبع نص في الواقع، فإن علينا تحديد نشأته التاريخية ووضعه في إطار شبكة الحياة الاجتماعية والسياسية المعقدة .

عرفت الفلسفة التحليلية مقارنة بالفلسفة القارية أنها فلسفة محافظة بعيدة عن التعقد والتجرد، بخلاف الفلسفة القارية التي لا تنفصل عن تقاليدها منها التقليد النقدي والاعتماد على القراءة التاريخية واللغة المجردة، وهذا ما جعل من الفلسفة القارية تعتمد بشكل كبير على التقليد، فالتقليد هو شيء موروث إلينا دون مناقشة، فمثلا

هوسرل في أزمة العلوم الأوربية يتوافق تقليديا مع التجربة المدرسية والتجربة المنشطة للتقليد.